الأستاذة: فريال تواتي

المادة: السرد السير ذاتي.

الفئة المستهدفة: سنة ثانية ماستر (تخصص أدب حديث ومعاصر).

المحاضرة 4: السيرة الذاتية في التراث الغربي

أهداف الدرس: أن يتعرف الطالب على ملامح السيرة الذاتية عند الغرب.

إن السيرة الذاتية الغربية لم تكن أحسن حالا من السير العربية القديمة، "بل لعل كثيرا من كتاب السير التاريخية في العالم الإسلامي كانوا أسبق إحساسا واعتدالا في الحكم والتقرير، فلم تكن سيرهم مدحا مطلقا أو ذما مطلقا، بل كانت تجمع بين هذين في صدق واعتدال، وهذه هي ميزة كثير من كتاب السيرة لدى المسلمين في العصور الوسطى، أما في الغرب فمن الصعب أن يتصور الناس السيرة الذاتية شيئا غير تعداد الحسنات وتعداد السيئات"[1]، وهو ما يؤكده **محمد عبد الغني حسن** في "تقييمه لتراجم الغرب القديمة، إذ يرى أنها لم تعن بضبط الأعلام كما في كتب التراجم العربية"[2]، بل ويؤكد أن أوروبا ظلت "عقيما في كتابة التراجم منذ عصور الظلام التي خيمت عليها في القرون الوسطى"[3].

إن السيرة الذاتية الغربية بهذا الضعف تحولت إلى "إبراز كرامات القديسين وخوارق أعمالهم وجعلوها نماذج ليس فيها من حياة الشخص المترجم أو تجاربه الإنسانية إلا القليل، واتجهوا بها نحو الوعظ والتذكير، وسخروها للعاطفة الدينية، وابتعدت عن حياة الشخص المترجم له بما فيها من تجارب إنسانية، واتجهت نحو الوعظ والتذكير وسخرت للعاطفة الدينية، وهذا وهن كبير يصيب السيرة، لأنها من أقرب الأشكال الأدبية صلة بالذهن فإذا سيطرت عليها العاطفة عصفت بما فيها من صدق، وإذا تحكمت فيها العاطفة الدينية –بوجه خاص– أفسدت عليها الأساس الذي تعتمد عليه، وإنما أساس السيرة هو الإنسان أوشخصيته وتجاربه"[4]، في مقابل ذلك نجد الكثير من الباحثين الغربيين يرون عكس ما ذهب إليه

العرب، حيث يقر **جورج ماي** بأن "السيرة الذاتية شكل من أشكال التعبير تختص به الثقافة الغربية"[5]، ويعتبر أن "السيرة الذاتية التي ظهرت خارج أوروبا ضربا من الشواذ لا يقاس عليه"[6]، فالسيرة الذاتية في نظرهم متأصلة في الثقافة الغربية ومقترنة بها.

اختلف العديد من الباحثين الغربيين في التأريخ لنشأة السيرة الذاتية، فنجد جورج ماي "يؤرخ لنشأة السيرة الذاتية باعترافات جان جاك روسو"[7]، وهو في ذلك "لا ينكر وجود اعترافات سابقة لاعترافات روسو، التي كتبها في نهاية القرن الثامن عشر، لكنه يرى أن اعترافات روسو هي النموذج الذي أصبح يحتذى في مجال السيرة الذاتية. ومن أشهر الاعترافات التي سبقت اعترافات جان جاك روسو...اعترافات القديس أوغسطين التي يرى وليم سبينج مان أنها شكلت الإرهاصات الأولى في نشأة ثلاثة من أشكال السيرة الذاتية"[8].

إن خصائص السيرة الذاتية الغربية مختلفة في كثير من مظاهرها عن السيرة الذاتية العربية القديمة، ذلك أن تسخير السيرة الذاتية الغربية للعاطفة الدينية كما هو الحال عند القديسين، كان جنبا إلى جنب مع تسخيرها لسير العظماء والملوك، ولكن حال السيرة الذاتية تغيرت جذريا مع "عصر النهضة حيث أصبحت السيرة مجالا خصبا لتأبين الميت،...غير أن النهضة قللت بعض الشئ من طغيان النغمة الدينية في الحياة"[9]، لتأخذ بعد ذلك السيرة الذاتية منحى تطوري في الأدب الغربي "منذ القرن الثامن عشر تأثرا بالتطور العلمي الجديد، حين سوت الديمقراطية بين الناس، واختفت النظرة المقدسة للملوك وأضحت الترجمة للجميع على حد سواء"[10]، لتغدو بعدها كتابة السيرة الذاتية مادة مربحة تدر على صاحبها مالا وفيرا[11].

ولعل من أبرز التراجم الذاتية الغربية، نذكر ما كتبه **جونسون** في كتابه (حياة شعراء)، وما "كتبه بوزويل في كتابه حياة الدكتور جونسون الذي يعده مؤرخوا الآداب العالمية... رائعة من روائع التراجم على اختلاف العصور"[12]، كما ظهرت في الساحة الأدبية الغربية

نوع من السيرة الذاتية ذات اللون أو الطابع القصصي مثل ما كتبه بروست في "البحث عن الزمن الضائع"[13].

من خلال ما سبق نستنتج أن السيرة الذاتية عند الغرب مرت بعدة مراحل أسهمت في تغيرها من شكلها الضعيف الذي كانت فيه السيرة الذاتية موجهة بشكل كبير إلى إبراز مكارم القديسين والملوك، لتأخذ بعدها السيرة الذاتية منحى تطوري ساهم في بروز شكل سير ذاتي له خصائص فنية مميزة.

الهوامش:

[1]– حفيظة سوالمية، رواية السيرة الذاتية –الرواية العربية الحديثة والمعاصرة أنموذجا–، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014–2015، ص: 82–83.

[2]– المرجع نفسه، ص: 83.

[3]– محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، دار المعارف، ط3، ص: 11.

[4]– إحسان عباس، فن السيرة، دار الشروق، عمان –الأردن، ط1: 1996، ص: 36.

[5]– تهاني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ط1: 2002، ص:32.

[6]– حفيظة سوالمية، رواية السيرة الذاتية –الرواية العربية الحديثة والمعاصرة أنموذجا–، ص: 84.

[7]– تهاني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص: 29.

[8]– المرجع نفسه، ص: 29.

[9]– إحسان عباس، فن السيرة، ص: 37.

[10]– حفيظة سوالمية، رواية السيرة الذاتية –الرواية العربية الحديثة والمعاصرة أنموذجا–، ص: 85.

[11]– ينظر: حفيظة سوالمية، رواية السيرة الذاتية –الرواية العربية الحديثة والمعاصرة أنموذجا–، ص: 85.

[12]– محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، ص: 13.

[13]– ينظر: حفيظة سوالمية، رواية السيرة الذاتية –الرواية العربية الحديثة والمعاصرة أنموذجا–، ص: 85.